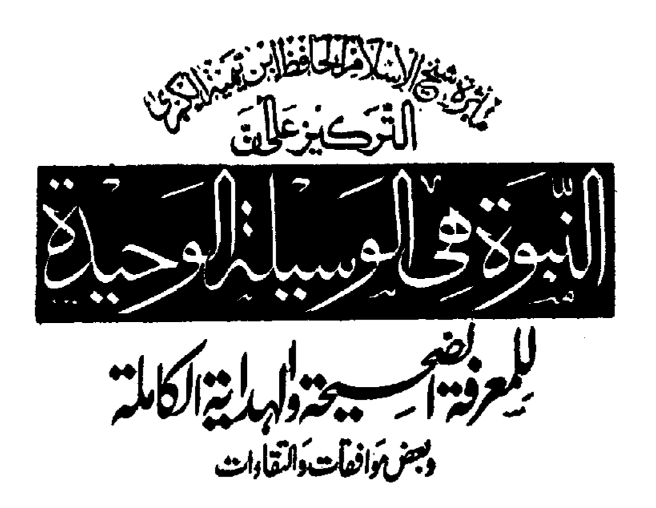
أبو الحسن علي الحسني الندوي



ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامى العلمى (ندوة العلماء)
لكهنؤ (الهند)

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى
رقم : ٢١٤

١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ ،
وبعد فهذا بحث أعده سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى ، للندوة العلمية الخاصة بشيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية ومواقفه الخالدة ، التى عقدتها الجامعة السلفية فى بنارس ، فى ٢٩ / ربيع الأول و ١ - ٢ ، ربيع الآخر سنة ١٤٠٨هـ (٢٢ - ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٨٧م) وقدم فى اليوم الأول .

و قد نال هذا البحث إعجاب المستمعين و الحاضرين فى الندوة ، و خاصة الضيوف العرب الذين شاركوا الندوة و على رأسهم معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الذى ألقيت هذا البحث برئاسته ، فأبدى به ارتياحه الكبير ، وعبر عن موافقته على ما جاء فيه من تحقيق علمى و تاريخى جدير بكل اعتناء .

و على ذلك فان المجمع الاسلامى العلمى قد أزمع على نشره فى رسالة مستقلة ، تكون زيادة طيبة ضمن الرسائل العلمية و الدعوية التى قام بنشرها لسماحة المؤلف حفظه الله تعالى .

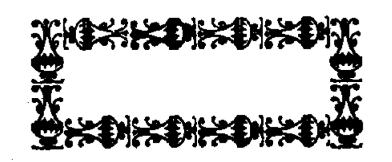
أسبغ الله عليها ثوب القبول والنفع ، وبالله التوفيق .

سعيد الأعظمى الندوى

رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى

٢٥ / ٦ / ١٤٠٨هـ

١٤ / ٢ / ١٩٨٨م





مأثرة شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية الكبرى

التركيز على أن

النبوة هى الوسيلة الوحيدة

للمعرفة الصحيحة و الهداية الكاملة

و بعض موافقات و التقاءات

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله وصحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

سادتى و إخوانى : يسعدنى و يشرفنى أن أسهم — بقدر الامكان — فى ندوة علمية خاصة بشيخ الاسلام الحافظ أحمد ابن تيمية رحمة الله عليه ، و قد كان خليقاً

بأن تنظم له ندوات كثيرة فى أنحاء العالم الاسلامى ، فانه يصح أن يقال : إن هذا العصر عصر ابن تيميــة ، و قد كان لشخصيته و دعوته و دوره الاصلاحى عودة فى هذا العصر ، و لكتاباته و أفكاره و اتجاهاته انتفـاضة لم تكن لمصلح إسلامى أو مؤلف من المؤلفين القدامى ، لأسباب تحتاج فى شرحها إلى كتاب مستقل .

و قد كانت الهند خليقة بأن تعقد فيها هذه الندوات لوجود صلات عميقة الجذور بين دعوته و جهاده ، و بين أوضاع هذه البلاد الدينية والعلميــة ، و لوجود بعض كبار المدافعين عن دعوته و مدرسته و تحقيقاته ، كحكيم الاسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى من رجال القرن الثانى عشر الهجرى (١) و خلفائه و تلاميذه و تلاميذ تلاميذه ،

(١) و هو صاحب الكتاب الفريد فى موضوعه « حجة الله البالغة » توفى سنة ١١٧٦هـ وهو المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى ، ليراجع كتـاب صـاحب المحاضرة . . . . « الامام الدهلوى » (الجزء الرابع من سلسلة رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام) .

وما نالت دعوتهم العلمية و الاصلاحية فى شبه القارة من ترحيب وقبول حسن، ونشاط وحماس فى القرن الثالث عشر و بعده، وقامت على أساسها مدارس تربوية ثقافية، وحركات إصلاحية دعوية .

وكانت تجمع بين الدعوة إلى التوحيد الخالص و اتباع السنة السنية، و بين ما كانت تحتاج إليه هذه البلاد ويقتضيه الزمان ، من الدعوة إلى تزكية النفوس و تربيتها ، و القيام بحركة الجهاد فى سبيل الله و تحرير البلاد ، و السعى فى إنشاء حكومة إسلامية على منهاج الخلافة الراشدة ، ونقل المراجع الدينية الأصيلة إلى لغة البلاد و نشرها فى نطاق واسع ، و إصلاح المجتمع الاسلامى الهندى، و إنقاذه من رواسب الجاهلية الهندية و التقاليد و الأعراف القديمة التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام ، و القيام بجولات دعوية واسعة ، و الاتصال بالشعب والجماهير اتصالا مباشراً ، وهو مما اتسمت به و امتازت مدرسة حكيم الاسلام الشيخ ولى الله الدهلوى م ١١٧٦هـ التربوية و الاصلاحية ، و دعوة السيد

الامام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) الاصلاحيـــة الكفاحية الكبرى (١) .

لذلك أعتقد ـــ ومعذرة إلى من يرجع إليهم الفضل فى عقد هذه الندوة ـــ أنها و إن جاءت فى مكانها ، فقد جاءت متأخرة عن أوانها ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها ، ولكل شئ أجل مسمى .

إن شيخ الاسلام ابن تيمية كان من أفذاذ المحققين و الباحثين ، و المصلحين المجددين ، فى تاريخ الاسلام ، ومن عماليق الفكر الاسلامى ومن أجمعهم لشعب الاصلاح المطلوب ، و الدور الاصلاحى و التجديدى الشامل ، منها تجديد عقيدة التوحيد ، و إبطال العقائد و التقاليد المشركة ، منها نقد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وترجيح أسلوب

---

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب المؤلف « سيرة السيد أحمد الشهيد » الجزء ١-٢- بالأردية ، و كتاب « إذا هبت ريح الايمان » بالعربية ، طبع بيروت و الكويت و لكهنؤ .

الكتاب و السنة ، و منها نقد الديانات و الملل المعارضة و المحاربة للاسلام ، و الرد على الفرق و النحل المنحرفة عن الطريق القويم و الثائرة على الاسلام ، فمن الديانات المسيحية المجابهة للدين الاسلامى عقيدة و دعوة ، و قوة سياسية ، و نفوذاً مادياً (١) و من الفرق «الشيعية» التى ما أضر بالاسلام و المسلمين مثلها (٢) و ما شكك مثل ما شككت فى مدى نجاح جهود سيد الرسل و خاتمهم فى دعوته و تربيته ، و فى تميز من نشأ فى أحضان النبوة و تخرج فى مدرسة الرسالة السماوية و التعاليم النبوية بطريق مباشر ، عن الأجيال البشرية و أمم الأنبياء ، فى الصلاح و الاستقامة ، و السمو و الطاعة لله و رسوله ، وشككت فى نقاء الكتاب المنزل الأخير و بقائه على أصالته ونصه

(١) و نموذجه كتابه العظيم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» .

(٢) و مثاله كتابه العظيم «منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة و القدرية» .

و فى عقيدة ختم النبوة و وحدة الرسل ـــ بما تقوله وتعتقده فى الامامة و أئمتها ـــ ومنها تجديد العلوم الشرعية وتنشيط الفكر الاسلامى و توسيع ثروته و تعميقها ، و إثبات الحاجة إلى الاجتهاد ، وكل ذلك فى اتزان و اقتصاد ، و اعتراف للائمة المجتهدين السابقين بالفضل ورد الملام عنهم و التماس العذر لهم .

و تلك كلها مآثر علمية فكرية بطولية لا يستهان بقيمتها و لا يقلل من شأنها، و لا تتيسر ولا تتوفر إلا لمن أراد الله به الخير لهذه الأمـــة و قيضه للقيـام بمهمة الاصلاح و التجديد .

و لكن مأثرته الكبرى الرئيسية فى اعتقادى و فى ضوء دراساتى المقارنة و استعراضى لتاريخ الفكر الدينى، وما قام عليه من مجتمعات و مدارس ، و حركات علمية و فكرية و تأليفية ، هى تركيزه على حاجة البشرية إلى النبوة ، و الضغط على أنها الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة و الهداية الكاملة ، وهو المدخل الرئيسى الكبير إلى تحديد مكانة شيخ

الاسلام التحقيقة و التجديدية و منزلته بين علماء الاسلام، و الدعاة و المصلحين ، و ذلك يحتاج إلى شئ من الشرح و الافاضة فى الموضوع و بيان « الخلفيات » التى لا يمكن الشعور الحقيق بمدى أهمية هذه المأثرة و قيمتها ، بدون الاطلاع عليها ، « و بضدها تتبين الأشياء » .

ماذا يثبته القرآن و يعلنه ؟ :

يلح القرآن على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله و صفاته الحقيقية ، وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة ، التى لا يشوبها جهل ولا ضلال ، و لا سوء فهم و لا سوء تعبير ، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم، لا يستقل بها العقل ولا يغنى فيها الذكاء ، و لا تكفى سلامة الفطرة ، وحدة الذهن و الاغراق فى القياس ، و الغنى فى التجارب ، وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة ، وهم أهل الصدق و أهل التجربة ، و قد أعلنوا ذلك فى مقام صدق كذلك « الحمد الله الذى هدانا لهذا ، وما كنا انهتدى لولا

أن هدانا الله » (١) و قرنوا هذا الاعتراف و التقرير بقولهم : « لقد جاءت رسل ربنا بالحق » (٢) فدل على أن الرسل وبعثتهم هى التى تمكنوا بها من معرفة الله تعالى وعلم مرضاته و أحكامه و العمل بها ، الذى تمكنوا به من الدخول فى الجنة و الوصول إلى دار النعيم .

و قد ختم الله تعالى سورة جليلة من سور القرآن وهى سورة الصافات ، وقد نفى فيها ضلال المشركين وسوء اعتقادهم و نسبتهم إلى الله عما هو منه برىء ، فقال فى آخر السورة : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين » (٣) و الآيات الثلاث حلقات متصلة بعضها ببعض ، فلما نزه الله نفسه العليـة عما يتفوه به المشركون ، ذكر المرسلين الذين جاءوا بالتنزيه و التقديس الكاملين ، و الوصف الصحيح البليغ ،

(١) الآية ٤٣ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ٤٣ من سورة الأعراف .
(٣) الآيات : ١٨٠ — ١٨٢ من سورة الصافات .

وسلم و أثنى عليهم لأنهم هم أهل الفضل فى تعريف الخلق بالخالق ، و فى الوصف الصحيح الصادق ، و كانت بعثتهم منة على الخلق ، و نعمة على الانسانية ، و من مقتضيات الربوبية الرحيمة الحكيمة ختم كل ذلك بقوله : « و الحمد لله رب العالمين » (١) .

ضلال الفلسفة اليونانية وسر شقائها و خيبتها :

إذن فقد ضل وتعب وجاهد فى غير جهاد من أراد معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة و صفاته و أسمائه الحسنى ، وما بينه و بين هذا العالم من صلة ، وكيفية إحاطته به و قدرته عليه ونفوذ أحكامه فيه ، عن غير طريق الأنبياء و المرسلين ، و اعتمد فى ذلك على عقله وعلمه ، و ذكائه و إلمامه ببعض العلوم و الصنائع ، و نجاحه فى بعض المحاولات العلمية ، و إنتاجه الضعيف المتواضع أو العظيم الضخم فى بعض مجالات علمية ، وحق عليهم قوله تعالى :

---

(١) أيضاً الآية ١٨٢ .

« ما أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، و الله يعلم و أنتم لا تعلمون (١) .

و هذا سر ضلال الفلسفة الاغريقية الالهية و أقطابها و نوابغها ، فقد غرهم ذكاؤهم و علومهم و آدابهم و شعرهم الخصب الغنى و ملاحمهم العظيمة التى نظموها ، و نبوغهم فى علوم الرياضة والهندسة ، و الاقليدس والفلسفة الطبعية ، و النجوم والفلكيات ، فخاضوا فى الالهيات و فى موضوع الذات و الصفات و الخلق ، و الابداع ، فجاؤا بالسخيف المرذول ، و بالتهافت المتساقط ، و بالمتناقض المتضاد من الآراء و الأقوال و التحكمات و التخمينات ، التى صدق حجة الاسلام الغزالى رحمه الله فى وصفها بقوله :

« ظلمات بعضها فوق بعض ، لوحكى الانسان عن منام رآه لاستدل على سوء مزاجه ، أو لو أورد جنسه فى الفقهيات التى قصارى المطلب فيها تخمينات ، لقيل إنها ترهات ،

---

(١) الآية : ٦٦ من سورة آل عمران

لا تفيد غلبات الظنون » (١) .

و قال فى موضع آخر : « لست أدرى كيف يقنع المجنون من نفسه لمثل هذه الأوضاع ، فضلا عن العقلاء الذين يشقون الشعر بزعمهم فى المعقولات » (٢) .

دور ابن تيمية فى التركيز على ما جاء عن طريق الأنبياء ، و تزييفه لآراء الفلاسفة :

ويأتى ابن تيمية فى القرن الثامن الهجرى ، وهذا القرن مسحور مبهور بكلام الفلاسفة و المنطقيين ، فيجعل الرد عليهم موضوعه الأثير الحبيب ، و يركز عليه فى كتاباته وبحوثه ، فيقول مثلا معلقاً على كلام الفلاسفة و الحكماء :

« يتأمل اللبيب كلام هؤلاء الذين يدعون من الحذق و التحقيق ما يدفعون به ما جاءت به الرسل ، كيف يتكلمون فى غاية حكمتهم و نهاية فلسفتهم بما يشبه كلام المجانين ، و يجعلون الحق المعلوم بالضرورة مردودا ، والباطل

(١) تهافت الفلاسفة ، ص / ١٠٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص / ١٢٤ .

الذى يعلم بطلانه بالضرورة مقبولا ، بكلام فيه تلبيس و تدليس » (١) .

وحق عليهم قوله تعالى : « أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم و يسئلون » (٢) و قوله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » (٣) .

المقارنة بين الالاهيات اليونانية و علوم الأنبياء و تعاليمهم :

إنه يتعجب حينما يتناول مباحث العلوم الالهية لفلسفة اليونان و أقوال فلاسفتهم الذين يقرنونها بالعلوم و الحقائق التى يأتى بها الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، يقول فى حماس زائد و قوة بالغة :

(١) منهاج السنة ، ج / ٣ بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول فى الحاشية ، ص : ٢٧٢ .
(٢) الآية : ١٩ من سورة الزخرف .
(٣) الآية ٥١ من سورة الكهف .

« إذا نظر فى كلام معلمهم الأول — أرسطو — وتدبره الفاضل العاقل لم يفده إلا العلم بأنهم كانوا من أجهل الخلق برب العالمين ، وصار يتعجب تعجباً لا ينقضى ممن يقرن علم هؤلآء بالالهيات بما جاءت به الأنبياء ، و يرى أن هذا من جنس من يقرن دهاقين القرى بملوك العالم، فهو أقرب إلى العلم و العدل ممن يقرن هؤلآء بالأنبياء ، فان دهقان القرية متول عليهم كتولى الملك على مملكته ، جزء من الملك » .

و أما ما جاءت به الأنبياء فلا يعرفه هؤلآء البتة ، وليسوا قريبين منه ، بل كفار اليهود و النصارى أعلم منهم بالأمور الالهية ، ولست أعنى بذلك ما اختص الأنبياء بعلمه من الوحى الذى لا ينال غيرهم ، فان هذا ليس من علمهم و لا من علم غيرهم ، و إنما أعنى العلوم العقلية التى بينها الرسل للناس بالبراهين العقلية فى أمر معرفة الرب و توحيده ، و معرفة أسمائه و صفاته ، و فى النبوات والمعاد ، وما جاؤا به من مصالح الأعمال التى تورث السعادة فى الآخرة ، فان

كثيراً من ذلك لم يشموا رائحتها ، ولا فى علومهم ما يدل عليها ، و أما ما اختصت الرسل بمعرفته و أخبرت به من الغيب ، فذلك أمر أعظم من أن يذكر فى ترجيحه على الفلسفة ، و إنما المقصود الكلام فى العلوم العقلية ، دع ما جاءت به الأنبياء فانه مرتبة عالية » (١) .

« بين ابن سينا أمر النبوة أنها من قوى النفس ، وقوى النفوس متفاوتة و كل هذا كلام من لا يعرف النبوة بل هو أجنبي عنها ، و هو أنقص ممن أراد أن يقرر أن فى الدنيا فقهاء و أطباء و هو لم يعرف غير الشعراء ، فاستدل بوجود الشعراء على وجود الفقهاء و الأطباء ، بل هذا المثال أقرب ، فان بعد النبوة عن غير الأنبياء أعظم من بعد الفقيه و الطبيب عن الشاعر ، ولكن هؤلاء من أجهل الناس بالنبوة ، رأوا ذكر الانبياء قد شاع فأرادوا تخريج ذلك على أصول قوم لم يعرفوا الانبياء » (٢) .

---

(١) الرد على المنطقيين ، ص : ٣٩٤ .

(٢) النبوات : ص ٢٢ .

ويقول في موضع آخر :

« وأبعد هؤلاء عن النبوة المتفلسفة والباطنية والملاحدة ، فان هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام ، وليس في كلام أرسطو و أتباعه كلام في النبوة ، و الفارابي جعلها من جنس المنامات فقط ، ولهذا يفضل هو و أمثاله الفيلسوف على النبي ، و ابن سينا عظمها أكثر من ذلك فجعل للنبي ثلاث خصائص : إحداها : أن ينال العلم بلا تعلم ويسميها القوة القدسية ، و هي القوة الحدسية عنده ، و الثاني أن يتخيل في نفسه ما يعلمه فيرى في نفسه صورا نورانية و يسمع في نفسه لا في الخارج ، فهكذا عند هؤلاء جميع ما يختص به النبي مما يراه و يسمعه دون الحاضرين، إنما يراه في نفسه، ويسمعه في نفسه وكذلك الممرور(1) عندهم، والثالث : أن يكون له قوة يتصرف بها في هيولى العالم باحداث أمور غريبة ، وهي عندهم آيات الأنبياء

(1) الممرور من غلبت عليه المرة (خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أوالسوداء) و هاجت ، فهو ممرور .

و عندهم ليس فى العالم حادث إلا عن قوة نفسانية أو ملكية أو طبعية . . . و هؤلآء عندهم جميع ما يحصل فى نفوس الأنبياء إنما هو من فيض العقل الفعال .

ثم إنهم لما سمعوا كلام الأنبيا و أرادوا الجمع بينه و بين أقوالهم ، فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم و يسمون تلك المعانى بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء ثم يتكلمون و يصفون الكتب بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء ، فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء و مرادهم أنهم عنوا بها ما عنته الأنبياء وضل بذلك طوائف ، و هذا موجود فى كلام ابن سينا و من أخذ عنه ، (١) .

الفرق الأساسى بين القرآن و الفلسفة فى ذات الله تعالى وصفاته :

و قد أشار إلى نقطة علمية مهمة وهو يتحدث عن الفرق المبدئى بين القرآن و الفلسفة فى ذات الله تعالى و صفاته ، يقول :

---

(١) النبوات : ص ١٦٨ .

« و القرآن أثبت الصفات على وجه التفصيل ونفى عنها التمثيل ، وهى طريقة الرسل ، جاؤا بإثبات مفصل ونفى مجمل ، و أعداؤهم جاءوا بنفى مفصل و إثبات مجمل (١) .

توارد على و التقاء فكرى عقائدى عجيب :

من الموافقات العجيبة و الالتقاءات العلمية الدعوية العقائدية التى تثير العجب و الاعجاب ، ما يجده القارىء المتتبع من حدة التفكر والتوصل إلى نتيجة واحدة ، والتركيز عليها ، و الالحاح فى سبيلها ، فى رسائل مصلح آخر - تحقق له من النجاح فى تغيير مسير التاريخ و إنقاذ البلاد بأسرها من خطر الردة الدينية الحضارية العلمية الشاملة ، التى تبناها و احتضنها ملك من أكبر الملوك و أقواهم إرادة و صرامة (٢) و حاول تطبيقها بجميع وسائل الحكومات

---

(١) النبوات : ١٥٣ .

(٢) وهو الامبراطور المغولى جلال الدين أكبر (٩٦٣-١٠١٤ هـ الموافق ١٥٥٦ - ١٦٠٥ م) ابن الملك نصير الدين همايون بن ظهير الدين بابر مؤسس الحكومة ★

و طاقاتها ، مثل ما حصل له ، و هو الشيخ الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، (٩٧١ -١٠٣٤ الموافق ١٥٦٣م -١٦٢٤م) .

و ذلك إن دل على شئ فانه يدل على أن الحق واحد ، و أن الاخلاص و التجرد فى دراسة الكتاب و السنة ، و اللجوء إلى الله تعالى و الانابة إليه ، والتوفيق الالهى ضامن بالوصول إلى الحق والصواب ، واللب اللباب ، و صدق الله العظيم :

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين » (١) .

★ المغولية فى الهند ، ليراجع للتفصيل كتاب المحاضر « الامام السرهندى » الجزء الثالث من سلسلة رجال الفكر والدعوة فى الاسلام - طبع دارالقلم - الكويت .

(١) سورة الروم : ٦٩ .

عجز العقل و الكشف و إخفاقهما في إدراك حقائق ما وراء الطبيعة :

أثبت الامام السرهندي ـ بدوره ـ عجز العقل و الكشف وقصورهما فى إدراك الامور الغيبية ، و العلوم التى هى وراء طور العقل ، و المعرفة الصحيحة لذات الله ـ سبحانه و تعالى ـ و صفاته ، وإحراز العلم الذى لا يشوبه شك ، و الحقائق الثابتة القطعية التى لا تخالجها شبهـــة ـ بحتمية و يقين ، و أن النتائج المكتسبة بهما لا تخلو من الشك و الريبة ، و الخطأ والزلة ، وسوء الفهم و التحريف و لا يمكن إدراك المعرفة الصحيحة لذات الله سبحـانه ـ و صفاته إلا عن طريق الأنبياء و المرسلين ، و إذا كان العقل وراء طور الحس ، فان النبوة وراء طور العقل ، و لا سبيل إلى معرفة الطريقة الصحيحـــة لتقديس الله و تعظيمه و تحميده و تمجيده إلا النبوة ، و تعاليم الأنبياء و أخبارهم (١) .

(١) ليرجع للتفصيل والاطلاع على نصوص الموضوع ★

وقد وقع حكماء اليونان بهذا الصدد فى زلات خطيرة، و أخطاء فاحشة ، فكما أن العقل الخالص ، و العقل المجرد ليس له وجود ، كذلك الكشف الخالص ، و الكشف المجرد ـ الذى يكون بعيداً عن التأثيرات الخارجية ، والأهواء الداخلية ـ صعب الوجود ، بل عديم الوجود ، و قد زلت أقدام الاشراقيين و أصحاب صفاء النفس و سمو الروح ، و وقعوا فريسة الأوهام و الجهالات ، كما زل زعماء العقل و الفلسفة ، فالعقل و الاشراق لا يغنيان فى الحصول على اليقين والوصول إلى الله شيئاً ، والبعثة المحمديه ، و الرسالة النبوية هى الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذات الله ـ تعالى شأنه ـ و صفاته و أحكامه .

و أعلن الامام السرهندى فى قوة و وضوح و فى رسائل كثيرة : إن من المستحيل تجرد العقل و خلوصه ،

★ « رسائل الامام السرهندى » أو كتاب صاحب المحاضرة : « الامام السرهندى » طبع دار القلم ـ الكويت .

و أن العقل ـ كالحواس الأخرى ـ يتأثر بالعقائد والمسلمات الداخلية ، و العوامل و التأثيرات الخارجية ، و إن كثيراً من استنتاجاته ، و أحكامه تتلون بالألوان الخارجيــة التى يكون وجودها فى داخله أو باطنه ، و تمتزج بهـا (١)

---

(١) و من عجيب المصادفات و الدلائل على صحة نتيجة البحث العلمى الخالص ، أنــ الفيلسوف الألمانى الشهير إمانويل كانت (Emanuel Kant, 1729 1804) بدأ ـ بعد قرابة قرنين من وفاة الامام السرهندى ـ البحث الموضوعى ، و التحقيق العلمى فى صلاحية العقل لتجرده ، وتحرره عن البيئة و عوامل الوراثة ، والعادات و المعتقدات ، والحكم الفاصل فى قضية ما من القضايا ، إنه عين حدود العقل و دوائره فى شجـاعــة و وضوح ، و استبعـــد وجود العقل الخالص ، ونشر كتابه الخطير «نقد العقل الخالص» (Critique of Pure Reason) عام (١٧٨١م) ، الذى أحدث هزة و اضطراباً فى الاوساط الفكرية و الفلسفية ، و كما يقول الدكتور إقبال : « إنه ★

و أثبت أن العقل قاصر عن أن يكون حجة و برهانا ، و أن بعثة الأنبياء هي الحجة البالغة ، ولا سبيل إلى التزكية الحقيقية بدون الاهتداء بهذه البعثة .

« و لكن الحقيقة ، و لب لباب العلم و العرفان أنه لا طريق إلى هذه الحقائق والمعارف ، إلا طريق الأنبياء ، الذين شرفهم الله - تعالى - بمنصب النبوة والرسالة و رزقهم أكبر قسط من العلم بذاته و صفاته ، وبملكوت السماوات و الأرض ، و أخبرهم - مباشرة و من دون و سائط - بما يرضاه و ما لا يرضاه ، و بما يأمره و ما ينهى عنه ، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه ، و أن نبوتهم و رسائلهم منة عظيمة على هذه الدنيا و نعمة ظاهرة ، و ما يعطونه من علم جليل بذات الله و صفاته العليا ، و أسمائه الحسنى - من غير مشقة ، و بدون مقابل - لا يمكن إحراز ذرة من ذراته ، بالتأملات الفلسفية ، و البحث و الاستدلال ؛ على مدى آلاف السنين ، و بالمجاهدات الشاقة ، و تصفية

★هدم - أعمال المتنورين وحولها إلى كومة من تراب» .

The Reconstruction of Religious Thaught In Islam,

النفس ، و المراقبة و التفكير لأعوام و سنين .

و ذالك من فضل الله علينا و على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون (١) .

و بالجملة فان هذا العمل التجديدى ـ و هو التركيز على أن النبوة هى الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة ـ له قيمته العلمية و العملية الكبيرة و الأثر البعيد فى الحياة فى كل زمان و مكان ، و إن كان العصر عصر الفلسفات و ما بعد الطبيعيات ، أو كان عصر المدنيات و التنظيمات والسياسات ، كما هو الشأن الآن ، فان الحياة لا تصلح ولا تستقيم إلا فى ضوء الهداية السماوية والتعليمات النبوية ، و صدق الله العظيم :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ، و يهديهم إلى صراط مستقيم (٢) » .

---

(١) الفكرة مقتبسة من رسائل الامام السرهندى .

(٢) الآيات : ١٥ و ١٦ من سورة المائدة .

الفهرس